مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 76– 89

خطاب العلمانية بين المسيحية والإسلام في مشروع محمد أركون النقدي

The discourse of secularism between Christianity and Islam in Mohamed Arkoun critical project

عراب إسماعيل ، Arab Ismail

ismail.arab@univ-alger2.dz

قسم الفلسفة، جامعة الجزائر2، مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية

المؤلف المرسل: **عراب إسماعيل** الإيميل : **ismail.arab@univ-alger2.dz**

تاريخ الاستلام: 2022/05/09 تاريخ القبول: 2022/07/27

الملخص:

إن الهدف من هذه الدراسة هو تبيان مفهوم العلمانية بين التصور المسيحي والإسلامي من وجهة نظر محمد أركون، فالمتمعن في إنتاجات الساحة الفكرية العربية والإسلامية وما تطرحه من أفكار، يتضح جليا ظهور مفهوم العلمانية الذي أضحى من الإشكالات الجوهرية في الساحة الفكرية الإسلامية وعلاقتها بالغرب المسيحي وبالإسلام في واقعه العربي المعاصر، فتحدث أركون عن العلمنة وضرورة تحديث العالم الإسلامي وأنه لابد من غرس مفهوم العلمانية بكل تفاصيلها داخل الساحة الفكرية الإسلامية، وهو بذلك يسعى إلى علمنة الفكر الإسلامي إذ يعرف العلمانية بأنها حتمية وضرورية وهو أمر ملحٌ ومستعجل، وأهمّية هذا الموضوع ليست عملية أو نظرية فقط وإنّما حياتيّة، فبناء نظرية للعلمنة من شأنه خلق الإطار الذي يمكن حل العديد من المشاكل التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، وأن تحليل العلمانية من خلال ممارستها في الغرب المسيحي كان أمرها مرهون بطبيعة الدين والسياسة وتحرير الفكر، ولكن العالم الإسلامي لن يستطيع الخروج من التأخر الحضاري ودخول عصر الحداثة دون مد الجسور مع العلمانية، من أجل تحقيق الدّولة المدنية، والتي ستحقق لهم العدالة والمساواة بين جميع الأديان والطوائف والأعراق.

الكلمات المفتاحية: العلمانية، الدين، السياسة، الحداثة، الإسلام، المسيحية.

Abstract:

The aim of the study is the concept of secularism in Christianity and Islam according to Muhammad Arkoun. If he examines the productions of the Arab and Islamic intellectual arena and the ideas it presents, it is clear that the concept of secularism has emerged, which has become one of the fundamental problems and defines secularism as inevitable and it is urgent. Building a theory of secularization would create the framework that Many of the problems that Islamic societies suffer from can be solved, and the analysis of secularism through its practice in the Christian West was dependent on the nature of religion and politics, but the Islamic world will not be able to get out of the civilizational delay and enter the era of modernity without building bridges with secularism.

Keywords: Secularism, religion, politics, modernity, Islam, Christianity.

1.مقدمة :

إن ضرورة بلورة الطرح الفلسفي في المجتمعات العربية الإسلامية أضحى اليوم أكثر حاجة من السابق، في عصر تشهد فيه الثقافات وصراعها من أجل التبادل الحر والرأي و الرأي الآخر، ويستدعي ذلك النظر العقلي والتحليل المنطقي للفكر أن يتوقف عند هذه الإشكالية، التي تصفي الخطاب أي كان نوعه الوضوح وإزالة الغموض، فما كان المشروع النقدي عند محمد أركون إلا بادرة مهمة لذلك، فمن خلال القراءة النقدية والتفكيكية التي قام بها المفكر للفكر الإسلامي ككل، أصبح من الضروري طرح مسألة العلمانية بأسلوب أكثر انفتاحا سواء داخل الإطار العربي الإسلامي، أو الغربي، فقبل الخوض في قضية العلمانية ينبغي أولا أن نبدأ بالعلمنة من زوايا متعددة عما درجت عليه إيديولوجيات لم تر في العلمانية سوى فصل الدين عن الدولة وفي موقف سلبي من الدين، فقد قدم محمد أركون مقاربات منفتحة عن العلمنة وقد كان على اطلاع على المشاريع العلمانية التي جرى تطبيقها في العالم العربي والأوربي، وقد بين سلبياتها وانتقد آراءها وحاول تقديم فكر متوافق مع منطق نقد العقل الإسلامي وقابل للمساهمة في تحرير المجتمعات العربية الإسلامية. ومن هنا جاء تساؤلنا وهو: لماذا كانت العلمانية ممكنة في الغرب

المسيحي أو في التصور المسيحي، في حين أن هذه المسألة(العلمانية) لم تكن ممكنة في العالم الإسلامي؟ هل يعود التبني للعلمانية لطبيعة الدين والسياسة؟ في حين أن الإسلام يرفض العلمانية نتيجة لطبيعة بنيته الدينية، أي نتيجة لعدم الفصل بين الدين والدولة، ومن ثمة يقال أن الإسلام دين دولة لا يعرف لا الفصل ولا التمييز. فالمسيحية التي جاءت مطابقة لمقولة "ما لله لله وما لقيصر لقيصر" من هنا تشكلت العلمانية مفهوما متلبسا في علاقتها بالإسلام.

يحلّل محمد أركون أولا العلمنة ويميزها عن العلمانية حيث يقول: "العلمنة هي أوّلا وقبل كلّ شيء إحدى مكتسبات وفتوحات الروح البشرية"[1]، وقد بدأ هذا في المجتمعات العربية ولكنّه سرعان ما اكتمل وأخذ صورته النهائية في المجتمعات المسيحية، والعلمنة أيضا "هي موقف للرّوح وهي تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التّوصل للحقيقة"[2]. أي أن العلمنة هي مسألة تخص المعرفة ومسؤولية الرّوح، وأهمّ التّحديات التي تواجهها، هي التحدي المعرفي بالدرجة الأولى. "أي كيف نعرف الواقع بشكل مطابق وصحيح؟ أي كيف يمكن أن نتوصل إلى معرفة تحظى بالتوافق الذهني والعقلي لكلّ النفوس السّائرة نحو التّوصل إلى الحقيقة"[3]. ولهذا فإنّ العلمنة بوصفها موقفا للرّوح أمام مشكلة المعرفة وهذه المعرفة متّصلة بالدّين وبإشكالية العلاقة بينها وبين والسّياسة في المجتمعات الإسلامية، فإن من شأن هذا الوعي الجديد الذي سينشأ عن العلمنة بمفهومها المعرفي عند أركون أن يعيد النّظر في مسألة السيادة العليا الإلهية أي المشروعية الدينية (الدين) والتي يمثلها رجال الدّين وبين السّلطة السياسية، ومن خلال هذا الجدل فلابد من إعادة النظر بين الدين والدولة في إشكالية العلاقة بين الدّيني والسّياسي والتي يعاني منها العالم العربي الإسلامي، سواء كان ذلك من خلال الحركات الإسلامية الجهادية التّكفيرية أو من خلال الحروب الطائفية الطاحنة التي تهدد وجود الدولة الوطنية ووحدتها الترابية في العديد من الدول العربية.

2.قراءة تاريخية لمفهوم العلمانية عند أركون :

لقد بلور محمد أركون في وصفه للعلمانية بمصطلحات عديدة مثل : العلمانوية، العلمانية الوضعية، العلمانية الصراعية، العلمانية المنفتحة، العلمانية الجديدة، وقد قام بتحليل العلمانية من خلال ممارستها في الغرب، فهناك أولا ما يمكن أن ندعوه بالعلمانوية المناضلة، والوضعية التي تعتبر بدأ من عصر النهضة أن الموقف الديني لا يتوافق مع موقف العقل المستنير...[وهذه المرحلة أي مرحلة التقدم الذي حققه الغرب في ميدان المعرفة] تحذف كليا الموقف الديني وتعتبره شيئا قديما باليا"[4] لذلك قامت العلمانية الصراعية بتحرير الفكر، وصناع القرار من رجال الدين الإكليروسين وسلطتهم المرعبة وأودت على مهل تفسيرتهم الكهنوتية وتأويلاتهم المتوحشة للشرع والمستندة إلى الأوهام والشكوك ولأساطير[5]. وهكذا تم تبني "هذا الموقف فترة طويلة من الزمن في أوربا الغربية وخصوصا في فرنسا وهيمنة على الأوساط الفكرية، والثقافية، وأوساط الباحثين، وليس فقط على السياسيين الذين يريدون فصل الكنيسة عن الدولة"[6]،وبالتالي اقترنت العلمانية كشعار إيديولوجي موجه أساسا من طرف نخبة المجتمع الغربي، وبحرية التفكير.

يؤكّد أركون أن الموقف الصراعي الذي فرضته ظروف عديدة في الغرب ضد السلطة الدينية قد تفاقم"في الغرب إلى حد بعيد بسبب الماركسية، فقد نظرت الفلسفة الماركسية لتطور الأمور على هذا الشكل ... وراحت هذه لنظرية تقول بأن العامل الديني ليس إلا قشرة سطحية أو بنية قليلة الأهمية"[7]،وهذا ما جعل التجربة الماركسية في صراعها مع الدين الرجعي الخاص بالتراث الأوربي الغربي، تعبر عن تحرر الفكر عن الدين.

يمكن القول أن هذا الموقف بالنسبة لمحمد أركون شكل ايديولوجيا أحادية الجانب تتموضع داخل عقلانية وضعية تحذف الجانب الديني من ساحة اهتماماتها، "أركون" يرفض هذا التفسير الإختزالي والناقص لأن التجربة تثبت ذلك، وعلم الأنثروبولوجيا المقارن يثبت لنا أنه لا يمكن أن يوجد مجتمع بشري بدون تقديس، أو دين، فالتقديس حاجة إنسانية والعامل الديني في حاجة إنسانية أيضا"[8].

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 76– 89

في مقابل ذلك تكون العلمانية الوضعية كما أوضحها أركون، كان لابد من انتقادها وإيجاد صيغة جديدة للعلمنة، تكون منفتحة على كل أبعاد الإنسان بما فيها البعد الروحي، والديني، ولذا ألحّ أركون على تأصيل ما يسميه "العلمانية المنفتحة" لتي تولي أهمية كبيرة للبعدين الروحي والديني لدى الإنسان، وربما ساعد إلحاح أركون على ضرورة علمانية جديدة ذلك البتر في الحضارة الغربية–خاصة أوربا– للبعد الروحي أو البعد الثقافي، والتاريخي للأديان، فبما أنه لا توجد ثقافة دينية، أي ثقافة تهتم بدراسة الأديان، وكيف نشوئها وتطورها ووظائفها في المجتمع، فإنّ النّاس يضلّون الطّريق ويذهبون لأيّ مكان لأشباع حاجاتهم الروحية"[9]، ومن هذا المنطق فإن التوتر الداخلي والحنين إلى الخلود والأبدية يشكلان بعدا أساسيا من أبعاد الإنسان[10]. "لأن الإنسان كما يعتقد أركون لا يعيش فقط بالماديات، والإستهلاك المادي فقط ... الإنسان بحاجة إلى تجاوز شرطه المادي من وقت لأخر، لكي يعانق شيئا آخر أكثر دواما، واتساعا، أي أقلّ عبودا، وآنية"[11] مما يعني أن البعد الروحي يمثل بعدا أساسيا من أبعاد الإنسان التي يعمل على إشباعها الروحي، لأن "الدين اليوم يمثل بعدا مهما لا يمكن تجاهله حتى ولم يكن ذلك إلا نظرا لعدد الكبير من الناس المؤمنين به"[12]، ويلح أركون على ضرورة إقامة مقارنة جادة وصارمة إلى أبعد حد ممكن من البعد الديني بكل ما يعنيه من قيمة روحية بالنسبة لوجود البشر وبين فتوحات الحرية التي حققها العقل العلماني في أوربا"[13]، ومن ثمّ فهو يدعو إلى إقامة ثيولوجية حرّة وجادة وحيادية بين المفكرين العلماني، والدّيني تهدف إلى إلغاء الملابسات الإستعباد القائمة بينهما من جهة، ومحاولة الحفاظ على التعددية الدينية أو المذهبية بين الجميع من جهة أخرى.

وهنا يمكن القول أن أركون ينتقد الطّريقة التقليدية في التعليم لأنها تثير الحساسية الدينية بين الطلاب (إسلامي–يهودي–مسيحي...إلخ) أو حتى داخل الديانة الواحد (الكاثوليك مع البروتستانت والسنة مع الشيعة) وفي المقابل أكد أركون على إدخال مادة تاريخ الأديان المقارن، الأنثروبولوجيا الدينية: أي دراسة الدين كظاهرة أنثروبولوجية (أو إنسانية) لا يمكن أن يخلو منها أي مجتمع بشري، فقيرا كان أم غنيا،

متخلفا كان أو متقدما"[14]. لأنّ علم تاريخ الأديان ... يقف موقفا حياديا من كل الأديان، والمواقف والمذاهب والطوائف"[15]، وهذا ما يمارسه أركون في تعليمه ودروسه في جامعة السوربون من خلال تدريسه للأنظمة الدينية، واللاهوتية ضمن منظور تاريخي، وعلمي مسؤول، أما بعض مفكري أوربا أمثال فوكو ودريدا وهابرماس، إذ يستمرون بالعمل والتفكير داخل إطار الفكر المعلمن كليا، ويستبعدون بشكل قطعي كلّ ما يخصّ البعد الدّيني من انتاج المجتمعات البشرية فإنّهم يجترحون عملا تعسّفيا لا منطقيا ولا عقليا[16]، وبالمقابل لها كانت نظرة المفكرين والأدباء الذين حملوا شعار الدين لله والوطن للجميع، و" للدلالة على فصل الدين عن الدولة أو فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية، وهو مطلب سياسي إيديولوجي وظيفته صيانة حرية الإعتقاد الديني والوجداني، بالإضافة إلى تحقيق المساواة المباشرة بين المواطنين وضبطها على أسس قانونية واحدة، بين أبناء الشعب الواحد، دون وسيط ديني أو طائفي أو مذهبي حيث الإنتماء إلى الوطن أساس العلاقات الإجتماعية"[17] .لكن ينتقد أركون هذا ويرى أنّه من غير المقبول أن لا تهتمّ الثّقافة العلمية المتقدّمة بتاريخ الأديان، وبالمقارنة العلمية الحرّة، والصّريحة بينهما[18]، لأنّ هذه المقارنة هدفها تنمية الحس النقدي لدى الطلاب، وتوجيههم للتحلي بالفهم الحر اتجاه العقائد الدينية التي فرضت سلطتها على البشرية عدة قرون.

إن محمد أركون بهذا المفهوم المتفتح حول العلمانية أنه يضع العاطفة الدينية في منأى عن كل الأغراض، كما يفك الارتباط بين مؤسسات الدول وخاصة المؤسسات التعليمية وطبقة رجال الدين، لأنّ الدولة العلمانية حيادية، وتتعاطى مع التّعددية بمختلف أشكالها تعاطيا قائما على المساواة.

3.التجربة الفرنسية للعلمانية :

لفهم العلمانية في فرنسا ينبغي أن نشير إلى دور الطبقة البرجوازية الرأسمالية التي لعبت دورا كبيرا في فصل الدين عن الدولة، لأنّه لولا وجود هذه الطبقة لما تمكنت المجتمعات الاوربية والفرنسية خاصة من مواجهة سلطة الكنيسة، وعلى هذا الاساس تمكنت الثورة الفرنسية سنة 1789 من زعزعة شروط ممارسة السّلطتين السياسية والثقافية، وبالتالي راح الغرب المسيحي يتقدم وينجح في فصل الدين عن الدولة بعد

الثورة الفرنسية الكبرى[19]. لكن محمد أركون يسير إلى أن فرنسا ما قبل الثورة، كانت تفرض النظام العقائدي الكاثوليكي على الجميع، ولم تكن تسمح للأقلية البروتستانتية أو اليهودية إلا بحقوق محدودة ومشروطة، وهذا ما قضت عليه الثّورة[20]، وهذا يعني أن العلمنة السائدة قبل وأثناء الثورة الفرنسية كانت تعبر عن العلمانية الصراعية الأحادية الجانب، لأنها قدست عقل الأنوار خاصة أثناء الثورة بالذّات، ولهذا السبب استطاع عقل الأنوار أنيواجه سلطة الكنيسة المسيحية، ويفرض على المجتمع الأوربي نمط حياتي يتماشى والمبادئ التي نص عليها، وعلى الرغم من أن محمد أركون ينتقد هذا النوع من التطبيق للعلمنة النضالية، إلا أنه اعتبره "مكسب عظيم من مكتسبات الحداثة، ولا يمكن التّراجع عنه بأيّ حال من الأحوال"[21]، لأنّه وضع حدّا في الواقع لذروة السّيادة العليا في فرنسا، من خلال إعدام لويس السّدس عشر.

ينظر محمد أركون لمسألة العلمنة في فرنسا في مجال التربية والتعليم من خلال تأكيده أن "المدرسة العامة في فرنسا أي المدرسة العلمانية التي أسسها "جول فيري" في أواخر القرن التاسع عشر، تمنع تدريس لمذاهب الدينية، بما فيها المذهب الكاثوليكي الذي يمثل أكثر من 90% من أبناء الشعب الفرنسي"[22]، ولذلك تم حذف كل المسائل المتعلقة بتاريخ الأديان، والأنثروبولوجيا الدينية من ساحة الفضاء التعليمي العام، كما يتمثل تقليص الاهتمام بمسائل داخل فضاء البحث العلمي أي في المركز القومي للبحوث العلمية الفرنسية والجامعات[23]، هذا ما جعل أركون يعتبر العلمنة في فرنسا وخصوصا ما يتعلق بنظام التعليم تشكل نوعا من اللامبالاة الفكرية اتجاه البعد الديني للإنسان والمجتمعات.[24] ممّا يعني أنّ العلمنة بالمعنى المنفتح الذي حدّده أركون منعدمة تماما في الوسط التعليمي الفرنسي، "لأنّ التلامذة والطلاب الفرنسيون محرومون من أية مرجعية تشرح لهم تاريخ الأديان بصفتها أنظمة ثقافية، وروحية كبرى عاشت عليها البشرية قرونا طويلة ولا تزال "[25]، ومن هذا المنطلق فالعلمنة الفرنسية على الرغم من تحقيقها لتقدم هائل في المجالات العلمية، والثقافية ... إلخ، ألا انها تندرج ضمن العلمانوية الوضعية الحامية–التي لم تحقّق أي تقدم في مجال العلوم

الدينية–التي تعطي الأولوية للجانب المادي على الجانب الروحي. هذا ويؤكد أركون أنّه وعلى الرغم من الحذف المقصود للبعد الثقافي والتاريخي للأديان إلا أن هذا جعل بعض المفكرين الفرنسيين اليوم يدعون إلى إعادة النظر في المفهوم القديم للعلمنة، وتشكيل علمنة جديدة تهضم المكتسبات السابقة، وتضيف عليها بعض الأبعاد الجديدة وخاصة البعد الديني[26].

لقد جانب بهذا محمد أركون الصواب حين وصف العلمانية في فرنسا بال"العلمانوية" في إشارة إلى غلوها وأساسها التاريخي زمن الثورة الكبرى، حيث اتخذت العلمانية محتوى يخالف المعنى الأصلي من حيث هي حياد الدولة اتجاه الأديان من منطلق استقلالية المجال العام عن المجال الخاص. ولم تحقق بذلك العلمانية في فرنسا أهم أهدافها المتمثلة في حرية الإعتقاد من جهة المساواة بين الأفراد بغض النظر عن الديانة التي يعتنقونها من جهة أخرى، وبالتالي فهي حققت علمانية مغلقة لا علمانية منفتحة بدليل أنها لا تسمح بتعدد الأديان وحرية الاعتقاد، ممّا يفسر سبب اضطهادها للمسلمين ومنعهم من ممارسة بعض طقوسهم الدينية وعدم مساواتهم بالفرنسيين، وهنا يمكن القول أن العلمانية التي شهدتها فرنسا هي علمانية طوباوية لا يمكن تحقيقها في الواقع لأن الإنسان لا يمكن أن يتجاوز رغباته وأنانيته وطموحاتهم السلطوية، فهي تنظر للأديان نظرة واحدة ذلك أن الدين الإسلامي بالنّسبة لها مقارنة بالأديان الأخرى يمثل خطرا عليها وتهديدا لكيانها، في حين العلمانية الحقة تقوم على المساواة والعدل بين الأفراد بغض النظر عن معتقداتهم.

4. علاقة الإسلام بالعلمانية في الفكر العربي المعاصر:

اهتمّ محمد أركون بعلمنة الإسلام المعاصر والتي كانت أكثر من مجرد التّفريق بين الشّؤون الرّوحية والشّؤون الزّمنية لأنّ تفريقا كهذا موجود عمليا في كلّ المجتمعات حتى عندما ينكر وجودها وتحجب لواسطة المفردات الدينية"[27]، وبهذا تصبح فكرة الإسلام دين دولة ودنيا في نظر أركون خاطئ، لأنّ الدّولة سواء في الإسلام أو المسيحية هي ظاهرة دنيوية قبل أن تكون دينية، وقد أضفى عليها الطابع الديني من طرف رجال الدين الذين قاموا بتأصيل لمشروعيتها الدّينية"[28]، فلا يمكن إلا الحديث عن العلمنة بشكل صحيح،

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 76– 89

إذ لم نمتلك نظرية معقولة ومقبولة عن ظاهرة التقديس، والعامل الرّوحي المتعالي والأنطولوجي"[29]، التي تساعد على فهم العلاقة بين ما هو بشري تاريخي وما هو وحي إلهي.

وهنا يمكن للمسلم المرور إلى مرحلة العلمنة دون وعي حقيقة التوتر الكائن بين المكانة الإلهية للوحي، وغايتها البشرية، وبين التصور الحديث للقانون الوضعي وللنظام الإجتماعي والسياسي الذي وصل ذروته منذ أن كانت أنظمة ما بعد الإستعمار التي فرضت الإسلام كدين دولة، ثم أعطت الوقت ذاته متسعة أكثر فأكثر للتشريع العلماني والدنيوي، وهذا التناقض غالبا أثناء مناقشة القانون الأحوال الشخصية الذي لا يزال خاضعا للأحكام القرآنية.

وهنا أصبح اكتساح العلمنة اليوم تحت غطاء الدين وشعارات دينية كلّ أرض الإسلام، ولا أحد يعلم بذلك، على العكس فالناس يتوهمون أن الدين قد عاد بعد غياب، وذلك انطلاقا من الأحداث التي طرحت نفسها في العالم لإسلامي في العقود الأخيرة، فمثلا باكستان ولدت من انفصال مسلمي الهند بعد الاستقلال، أما الاتحاد السوفياتي المسلمون يحافظون على الزواج الديني بصرامة لكي يتجنبوا أي اختلاط مع الرّوسيين، في تركيا الجمعيات احتضنت المخلصين الذين رفضوا اللائكية الكمالية، في اندونيسيا وماليزيا الإسلام يعني هوية ثقافية خاصة في مواجهة المذاهب الدينية، ومواجهة المسيحيين الغربيين، وعلى هذا الأساس أكّد أركون أنّ "الدور السياسي للإسلام قد تحدد بواسطة الجمعيات الدينية كما في السنغال، في إيران الخميني وضع نهاية للعلمانية التي كان يريدها الشاه، في مصر جمال عبد الناصر حارب الإخوان المسلمين، في الشرق الأوسط حزب البعث بحث عن الطّرق التي تردّ الإسلام إلى مجرّد عنصر بسيط في الشّخصية العربية، في السعودية الاتفاق بين السّلطة والدين، يرجع إلى تأسيس الأسرة الملكية، في المغرب تيار العلمانية تعمق عن طريق الثقافة الفرنسية، ومنع حتى يومنا هذا من ممارسة الجهاد الإسلامي والتي تبدوا يوما بعد يوم مهدّدة"[30]، وهكذا تكشف هذه الأحداث عن الجدل القائم بين الأصولية والعلمانية، خاصة منذ أن أخذت الصّحوة الإسلامية عام 1970 مقدّمة الأحداث السّياسية والاجتماعية...إلخ.

ويبحث أركون عن حقيقة خطاب الصّحوة الإسلامية مؤكّدا أنّ هذا الخطاب يخلع الرّداء الإسلامي التّقليدي بكلّ مفرداته، وصياغاته التّعبيرية على كلّ الممارسات السّياسية، والمؤسّسات الحديثة، والممارسات القانونية التي استعيرت من أوربا، إنهم يغلفونها بشعارات إسلامية وتسميات إسلامية لكي يوهموا بأنّهم لم يخرجوا على الخط، ولم يقلدوا ذلك الغرب الإمبريالي، المستعمر، المادي الملحد...إلخ[33]، مما يعني أن العلمنة تكتسح تلك الخطابات الدينية التي تدعي تمسكها بالإسلام كدين ثقافي، وعلمي، وفلسفي، وروحاني... إلخ، وذلك للتعبير عن الاعتزاز بالذات، وبالتالي فالجوهر العلماني قد ترسخ شيئا فشيئا في مختلف القطاعات السياسية، والاجتماعية و الاقتصادية من حياة المجتمع.

إنّ المسلمين في عالمنا الرّاهن مطالبين بكسر القيود القديمة التي لا يمكن الارتكاز عليها، ومجابهة الضّغوطات الإمبريالية المختلفة، لكي يتبنوا الموقف العلماني فكرا وممارسة، فحسب أركون الإسلام في عصرنا الرّاهن لم يعد دينا وإنما أصبح إيديولوجيا سياسية تتزود عليها قوى السلطة والمعارضة معا، لقد فقد بعده الديني والرّوحي المتعالي على عكس ما يظنّه الكثيرون، ولذلك أقول أن العلمنة التي أدعوا إليها في العالم الإسلامي ليست مضادّة للدّين، وإنّما هي فقط مضادة لاستخدام الدّين لأغراض سلطوية أو انتهازية أو منفعية[31]، وفي هذا الصّدد وضع أركون عدة شروط لتمكين المسلمين من ولوج العلمنة قائلا: "لكي يتوصل المسلمون إلى أبواب العلمنة فإن عليهم أن يتخلصوا من الإكراهات والقيود النفسية واللّغوية، والإيديولوجية التي تضغط عليهم وتثقل كاهلهم، ليس فقط بسبب رواسب تاريخهم الخاص بالذات، وإنّما أيضا بسبب العوامل الخارجية والمحيط الدولي"[32].

يعدّ غرس العلمنة في المجتمعات العربية الإسلامية واجبا في نظر أركون والذي لن يتمّ إلاّ بالتنظير لها، وهو أمر ملحٌّ ومستعجل، وأهمّية هذا الموضوع ليست عملية أو نظرية فقط وإنّما حياتيّة.... فبناء نظرية للعلمنة من شأنه خلق الإطار الذي يمكن حل العديد من المشاكل التي تعاني منها المجتمعات لإسلامية. وهو الطريق لإزالة الغموض الذي يكتنف العلاقات بين مختلف المجالات السّياسية والعلمية والدّينية في هذه المجتمعات"[33]، ولن يتمّ الفرز بين كلّ هذه المجالات الفضاءات سواء السّياسية أو الدّينية، إلاّ بإعادة

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادى الأولى 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 76– 89

التّفكير في العلمانية والسّياقات التاريخية لتشكلها في الفكر العربي منذ عصر النهضة إلى يومنا هذا"، لأنّه لا يمكن التفكير في مفهوم العلمانية في الفكر السياسي العربي خارج الإطار التفكير في الإشكاليات النظرية والتاريخية المرتبطة بموضوع كيفيات انغراس الحداثة السياسية في واقعنا وفكرنا"[34]. فبتشكيل سياقات تاريخية للحداثة يسوقنا نحو تشكيل سياقات تاريخية للعلمانية.

إنّ تكريس دور العلمانية كشرط لتحقيق التّحديث في المجتمعات الإسلامية، والعلمنة في ذاتها معيار للحداثة"[35] فالعلمانية مرتبطة بالحداثة، إذ أنّ ظهور الدّولة بمفهومها الحديث–حيث الدولة مرتبطة بالشّعب– يعود إلى تطور العلمانية. من هنا يرى جورج تايلور أنّ العلمانية ظاهرة تنسحب على كلّ المجتمعات التي تسير باتّجاه الحداثة في عالمنا المعاصر"[36]، بهذا نستطيع القول أن العرب والمسلمين لن يستطيعوا الخروج من تأخرهم الحضاري ودخول عصر الحداثة دون مد الجسور مع العلمانية، التي بدونها لن يتمكنوا من تحقيق الدّولة المدنية، والتي ستحقق لهم العدالة والمساواة بين جميع الأديان والطوائف والأعراق. وبدون المرور بالعلمانية ستبقى المجتمعات العربية الإسلامية حبيسة الفكر الديني المنغلق، وهذا ما يفتح الباب على كلّ أنواع التعصب الديني والعرقي والحروب، كما هو حاصل اليوم في معظم البلدان العربية التي تعاني من التّشتت الطّائفي والعرقي.

5. خاتمة :

كختام لهذا المقال اتضح أن أركون يحاول جاهدا من أجل تجاوز مخاطر المنجرة عن تبني العلمنة في المجتمعات العربية الإسلامية المعاصرة، والتي يفهمها أنها موقف للروح، وهي تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى الحقيقة"[37]، إذ يعتبرها من أهم مكتسبات الإنسانية، وليست حكرا على دين أو ثقافة أو عرق. ولا يجب أن تفهم على أنّها إيديولوجية بديلة أو معادية للدين كما يفهمها أغلب المسلمين. ويصف أركون حاله من أجل إزالة اللبس الذي اكتنف العلمنة عند المسلمين بقوله: أود أن أقول ذلك أمامكم منذ البداية، أنه يمكن أن يعتقد بعضهم بأني لا يمكن أن أكون ضمن خط العلمنة بسبب

انتمائي الإسلامي. إنّ وجودي في فرنسا قد علمني أشياء كثيرة ايجابية وسلبية عن تجربة العلمنة أو طريقة ممارستها وعيشها. قد انتهى بي الأمر أخيرا إلى تلك الممارسة والقناعة الفكرية التي تقول بأنّ العلمنة هي أوّلا، وقبل كلّ شيء إحدى مكتسبات وفتوحات الروح البشرية"[38]، بهذا يمكن للمسلم أن يحتفظ بخصوصيته الدّينية ضمن حدود الدّولة العلمانية التي تضمن حرية الاعتقاد ضمن أطر قانونية ومن أجل دولة يسودها العدل والديمقراطية.

6. الهوامش :

1 محمد أركون: العلمنة والدين، الإسلام المسيحية الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط3،بيروت، 1996،ص.09

2 المصدر نفسه، ص.10

3 المصدر نفسه ، ص.11

4 محمد أركون، مصدر سابق، ص .72،73

5 سيار الجميل، العرب والأتراك الانبعاث والتحديث، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2013، ص 305

6 محمد أركون، مصدر سابق، ص.73

7 المصدر نفسه ، ص 73، 74.

8 المصدر نفسه ، ص.128

9 محمد أركون، الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادة الهيمنة، تر جمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2، 2001، ص.211

10 محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط6، بيروت،2007، ص.262

11 نفسه.

12 المصدر نفسه، ص.256

13 نفسه.

14 محمد أركون : الإسلام أوربا الغرب، مصدر سابق، ص.213

15 المصدر نفسه، ص.214

16 محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص.255

17 السعدي بن أزواو، مفهوم العلمانية عند محمد أركون، قراءات في مشروع محمد أركون، أعمال ندوة، مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيوبلوجية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الجزائر2، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة، الجزائر، 2011، ص 93

18 محمد أركون، الإسلام أوربا الغرب، مصدر سابق، ص.208

19 محمد أركون، الإسلام، الأخلاق، السياسة، ترجمة هاشم صالح، منشورات اليونيسكو بالتعاون مع مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص. .59

20 محمد أركون، الإسلام أوربا الغرب، مصدر سابق، ص.205

21 المصدر نفسه، ص.204

22 محمد أركون، الإسلام أوربا الغرب، مصدر سابق، ص.204

23 المصدر نفسه، ص.206

24 محمد أركون، العلمنة والدين، مصدر سابق، ص.69

25 محمد أركون، الإسلام أوربا الغرب، مصدر سابق، ص.297

26 نفسه.

27 محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، تر هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، ط 2، بيروت، 1996، ص180.

28 فارح مسرحي، الحداثة في فكر محمد أركون، الدار العربية للعلوم، ط1، الجزائر، 2006، ص. 127.

29 محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، المصدر السابق، ص.180

30 Arkoun M.: Emergences et problème dans le monde Musulmans Contemporain 1960-1985; Islamo-christiania, Tome 12, P. 155

31 Ibid.,P. 155-156.

32 محمد أركون: الإسلام أوربا الغرب، مصدر سابق، ص.201

33 المصدر نفسه، ص.203

34 محمد أركون، العلمنة والدين، مصدر سابق، ص 59.

35 فارح مسرحي، الحداثة في فكر محمد أركون، المرجع السابق، ص 129.

36 كمال عبد اللّطيف، التفكير في العلمانية إعادة بناء المجال السياسي في الفكر العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص 16.

37 فارح مسرحي، الحداثة في فكر محمد أركون، المرجع السابق، ص 124.

8 سعد البزاغي، الاختلاف الثقافي ثقافة الاختلاف، مركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص 217.